عبر من قصص القرآن الكريم

أصحاب الأخدود

بقلم

محمد رجب

مكتبة العبيكان

obeikandl.com

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لجنة التأليف والترجمة بمكتبة العبيكان

أصحاب الأخدود.- الرياض.

٥٣ ص، ١٧X ٢٢ سم - (عبر من القرآن الكريم)

ردمك: ٤ - ٩٧٨ - ٢٠ - ٩٩٦٠

١- قصص القرآن أ - العنوان ب - السلسلة

ديوي ٢٢٩,٥ ٢٢/١٥٤٠

ردمك: ٤- ٩٧٨ - ٢٠ - ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢٢/١٥٤٠

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشـــر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

obeikandl.com

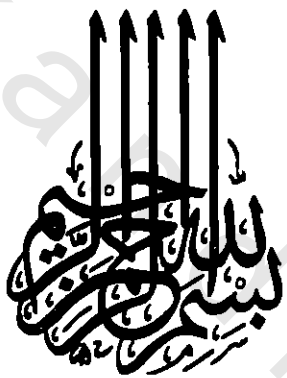

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾

[البروج: ٤ – ١١]

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

جرت سنة الله في خلقه أن يتعرض أصحاب العقيدة الصحيحة لمتاعب وآلام في المجتمعات الفاسدة، ومن الحكام الظالمين، عندما يطغى الحاكم ويستبد برأيه، ويرغم شعبه على اتباع هذا المسلك الفاسد، مروجًا لعقيدة باطلة.

ومن مظاهر هذا المسلك ما نراه في قصة أصحاب الأخدود، هؤلاء الذين تمسكوا بعقيدتهم الصحيحة وثبتوا على إيمانهم بالله على الرغم من تعذيبهم بشتى الوسائل حتى وصل الأمر إلى إحراقهم، ولعل في هذا المسلك منا قوى عزيمة أصحاب النبي ﷺ حيث كان يقص عليهم ما لاقاه هؤلاء وغيرهم من الأذى في سبيل إيمانهم؛ ولكن النصر في النهاية للمؤمنين إن لم يكن في الدنيا فيوم الدين.

فإلى أحداث هذه القصة لنأخذ العبرة ونعي الدرس.

هذا والله الموفق

obeikandl.com

ابتداء النصرانية بنجران

في ذات يوم نزل بنجران رجل صالح على دين عيسى عليه السلام يُدعى «فَيْمَيُون»، وكان زاهداً في الدنيا، مجتهداً في العبادة، مجابَ الدعوة، وكان سائحًا ينزل بين القرى، لا يُعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يُعرف بها، وكان لا يأكل إلاّ من كسب يديه، وكان بناءً يعمل بالطين، لكنه كان إذا جاء يوم الأحد خرج إلى الصحراء يتعبد بحيث لا يراه أحد من الناس.

سار وراءه يومًا رجل بقرية من قرى الشام، كان يُدعى صالحًا، أحبه حبًا عظيمًا لما راقب أفعاله وعبادته..

وفي اليوم المعهود للعبادة خرج «فيميون» إلى الصحراء، فاتبعه صالح – وفيميون لا يشعر به – وجلس خلف شجرة مستخفيًا ينظر عبادته. وبينما هو يصلي إذ أقبلت نحوه حية عظيمة فلما رآها فيميون وهو يُصلي دنا عليها فماتت مكانها، كان صالح فزعًا منها فزعاً شديداً، فصرخ في فيميون قائلاً:

– أدرك نفسك يا فيميون، الحية قادمة نحوك!!

قال صالح ما قاله خوفًا على فيميون، لم يكن يعلم أن التنين قد مات

بدعوة فيميون عليه، فلما أنهى فيميون صلاته عرف أن هناك من تبعه فالتفت إلى صالح وقال:

– يا هذا، ماذا تريدُ مني؟

– تعلم والله أني ما أحببتُ شيئًا قطُّ حبك، وقد أردتُ صحبتك والمكوث معك حيث تكون.

– ما شئت، أمري كما ترى، فإن علمتَ أنك تقوى عليه فنعم.

فصارا متلازمين، إن الذي جمع بينهما هو الحب في الله، وهذا نوع من الحب عظيم؛ لا تفرق بين أصحابه الدنيا ولا غرورها، فالمحبون في لله يجتمعون على حب الله وعلى طاعته.. يقول عنهم رسول الله ﷺ:

«إن الله تعالى يقولُ يوم القيامة: أين المتحابّون بجلالي؟

اليوم أظلهم في ظلّي يوم لا ظل إلا ظِلّي» رواه مسلم.

وعنه ﷺ «أن رجلاً زار أخاً له في قرية، فأرصد[1] الله تعالى على مدرجته[2] ملَكًا – فلما أتى عليه قال:

– أين تريد؟

---

(١) أرْصَدَ: أقعد

(٢) مدرجته: طريقه.

قال: أريد أخًا لي في هذه القرية.

قال: هل لك عليه من نعمة تربُها؟(١)

قال: لا ، غير أني أحببته في الله.

قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته في الله» رواه مسلم

هكذا حاز فيميون وصالح بالحب في الله تعالى هذا الشرف العظيم.

وكان أهل القرية يعرفون عن فيميون صلاحه وتقواه، وكان إذا أصيب العبد بضر فجاة دعا له فشفي، وإذا دُعي إلى أحد به ضُر لم يأته، وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير أعمى، فسأل عن شأن فيميون فقيل له : إنه لا يأتي أحداً دعاه، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر. فذهب الرجل إلى ابنه فوضعه في حجره، وألقى عليه ثوبًا، ثم جاء فيميون، فقال له:

– يا فيميون، إني قد أردتُ أن أعمل في بيتي عملاً فانطلق معي حتى تنظر إليه، فأشارطك عليه(٢).

فانطلق معه حتى وصلا إلى المنزل، ودخلا حجرة، ثم قال الرجل الصالح فيميون:

---

(١) تربُها: تقويها.

(٢) فأشارطك عليه: أي: نتفق على أجرك حين ترى مقدار العمل.

– ما تريد أن أعمل في بيتك هذا؟

– سوف تبني لي جداراً عالياً حتى لا يراني جاري، ويكشف سوأتي من تلك الناحية..

ثم كشف الرجل الثوب عن الصبي وقال:

– يا فيميون، عبد من عباد الله أصابه ما ترى فادع الله له.

فدعا له فيميون، فقام الصبي ليس به ضرر ولا عمى.

عرف فيميون أن أهل القرية عرفوا شأنه وأنه قد اشتهر، فخرج ومعه صالح من القرية، فبينما هما يمشيان في بعض نواحي الشام إذ مرّا بشجرة عظيمة، ناداهما رجل منها وقال:

– يا فيميون.. ما زلتُ أنتظرك وأقول متى هو آتٍ، حتى سمعتُ صوتك، فعرفت أنك هو.. لا تبرح حتى تقوم بأمري.

ثم ما لبث الرجل إلا قليلاً حتى مات، فقام فيميون وصالح بأمر غسله وكفنه ودفنه ثم انصرفا، فلما كان بأرض من أرض العرب طلع عليهم نفر من اللصوص فعدَوا عليهما واختطفوهما، وذهبوا بهما إلى نجران وباعوهما هناك، وصارا من العبيد.

وكان أهل نجران آنذاك يعبدون نخلة طويلة، ولها عيد في كل سنة.

فإذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه، وحُليّ النساء، ثم خرجوا إليها فعكفوا عليها يومًا، وكان ذلك اليوم حين ابتاع فيميون رجلٌ من أشرافهم وابتاع صالحًا رجل آخر، كان ذلك في عهد ذي نواس الذي قتل «لخنيعة ذا الشناتر» الفاسق وكان أغلب أهل هذه البلاد آنذاك على الشرك والوثنية.

مكث فيميون في منزل سيده يخدمه، وكان يتهجد في حجرته ليلاً لله ويصلي، فإذا بالبيت يضاء من نور العبادة والصلاح دون سراج أو مصباح، فتعجب سيد المنزل وأعجب بفيميون، فسأله عن دينه؟ فقال له: إنه يعبد الله لا يشرك به شيئًا، وبأنه على دين عيسى عليه السلام، . . .

وقال له:

– إنما أنتم في باطل، إن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع، ولو دعوتُ عليها إلهي الذي أعبده لأهلكها، وهو الله وحده لا شريك له.

فقال له سيده:

– إن قدر إلاهك على ذلك فلسوف أتبعك.

فقام فيميون فتطهر وأخذ يصلي لله ويدعوه أن ينصر دينه، ويهلك تلك النخلة، فأرسل الله عليها ريحًا فاقتلعتها من أصلها فألقتها، فاتبعه السيد واتبعه بعض أهل نجران على دينه وشريعته.

ومكث فيميون بعد ذلك بعد أن أعتقه سيده في خيمة خارج نجرن يعبد الله تعالى، وهكذا دخلت النصرانية نجران.

obeikandl.com

عهدٌ من الطغيان

بدأ ذو نواس عهد الحكم بالعدل؛ لكنه لم يلبث أن نسي الناس ونسي حبهم له وتمليكهم له في بادئ الأمر وطغى وتجبر، كان يزداد كل يوم ظلمًا للناس، يجمع الضرائب ويقوي جيشه، ويُرضي وزراءه وسحرته، ويعيش في بذخ صارخ، والناس من حوله جوعى لا يجدون ما يأكلون، بينما تمتلئ معدته باللحوم والفواكه والخمور كل ليلة، الأطفال يموتون من الضعف والمرض بينما يسمن هو ويتضخم، كان لا يرى إلا نفسه، ولا يحب إلا ذاته، وكان يُرهب الناس ويخيفهم ولا يتجرأ واحد منهم على عصيان أوامره، كان العمال يبنون له قصوره دون أجور، وكان الزراع يزرعون القمح والذرة والفاكهة والخضراوات ولا ينالهم منها شيء، بل تؤخذ جميعها إلى قصوره ومخازنه، وإلى قصور وزرائه وقواده، كان أهل المدينة يعيشون دون أدنى أمل في إنقاذ حياتهم من هذا الظلم والجوع والضياع.. لكنهم كانوا وثنيين يعبدون غير الله.

ومن اتبع منهم فيميون كان يخفي إيمانه حتى لا يقتله الملك الظالم.

أقام الملك احتفالات ضخمة، حضرها السحرة والكهنة والمهرجون، كان العمر بالنسبة لهم متعًا زائفة وأيامًا ضائعة وآمالاً فانية مترقبة، كان السحرة وعلى رأسهم كبيرهم يرضون غرور الملك ويحققون رغباته طالما هو يحقق

لهم مآربهم، ويشبعهم بالأموال والكنوز والخيرات، كان ذو نواس في بداية حكمه عندما دخل فيميون بلدة نجران، دخل بعض الناس في النصرانية دين عيسى عليه السلام، هداهم فيميون إليه بفضل الله، انتشر الحديث عن فيميون في المدينة، وأتى إليه الكثيرون ليستمعوا منه إلى ما يشفي الصدور ويشرح الأفئدة وينير الدنيا والآخرة، أخبرت العيون الخبيثة الملك ذا نُواس..

غضب الملك غضبًا عظيمًا وقال:

– ماذا يقول لهم هذا الرجل أيها القائد؟

القائد: إنه يحدثهم عن الله، يحدثهم عن العبادة لله الواحد لا شريك له، يخبرهم أنك لست ربهم، بل إنك مجرد ملك ملكه الله مُلك البلاد ليختبره.. يحدثهم عن عيسى والنصرانية، يحدثهم عن موسى واليهودية، يذكرهم بمليكهم الصالح أسعد بن ملكيكرب الذي أدخل اليهودية الصحيحة إلى هذه البلاد منذ سنوات بعيدة، ويقول لهم:

– إن النصرانية مكملة لشريعة موسى عليه السلام.. كل الديانات تهدف إلى عبادة الله وحده لا شريك له...

إن موسى عليه السلام كان يقول لقومه: ﴿**رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ**﴾، كان يأمرهم بعبادة الله الواحد الأحد، لكنّ فرعون عصى

وتجبر وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ﴾ قال لهم بكل رحمة وصبر ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ لكنهم تمادوا في الكفر والزيغ ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾،

ثم جاء عيسى عليه السلام من بعده بقرون نبيًا ورسولاً من عند الله يقول لهم: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾. يا قوم، إن ملككم جاحد بالله، نسي نعمة الله عليه، نسي أن الله خلّص هذه البلاد من الملك الظالم لخنيعة على يديه عندما كان صالحًا، وهو قادر على أن يخلص البلاد والعباد من شره بصالح آخر.

هذا كلام قليل مما يقوله يا مولاي..

– خسئت يا فيميون، أتريد أن تقلب البلاد عليّ، وتعين الناس على الفساد والإفساد وعصيان ولي أمرهم..

لقد تعبتُ كثيراً حتى لبستُ التاج، ولن أسمح لأحد بأن يسلبني القوة والسلطان.. أيها القائد..

اقبض على فيميون فوراً، وأحضره بين يدي الساعة لأقتله شر قتلة.

علم صالح وهو أحد الناس المرافقين لفيميون بأن الملك الظالم ينشر جنده في المدينة بحثًا عنه، فجاء لفيميون وقال:

– يا أخي، اخرج من المدينة.. يا فيميون، إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج مسرعًا متخفيًا إني لك من الناصحين.

استمع فيميون لنصح صالح، وخرج متخفيًا ليس خوفًا من الملك ولكن حتى يحيا وينشر دين الله في أمان..

obeikandl.com

دولة الشيطان

كان ذو نُواس يحكم في دولة الشيطان، ولا عجب في هذا، فإن لشيطان جنوده من الجن والإنس، بل قد يصبح الإنسان عظيم الإفساد في الأرض حتى يتعلم منه شيطان الجن الألاعيب والحيل، لقد لعب الشيطان بعقل ذي نُواس، أقنعه بأنه القوي الذي لا يُقهر، والشديد الذي لا يُغلب، أفهمه أنه مخلد في هذه الحياة، وأنه يجب أن يستمتع بحياته كلها طولاً وعرضًا، وأدخل في عقله الخاوي بأنه مادام ملكًا فإن كل مَن في مملكته يصبح طوع أمره ورهن إشارته، وهكذا طغى ذو نواس وتجبر حتى صار فرعون هذه الأمة، وأصبح لا يؤمن بالله فكان من جند الشيطان.

طرق عمال الملك أحد الأبواب.. كان ذلك الباب لدار حقيرة في أكثر متاطق المدينة بؤسًا وفقراً وقذارة، خرج إليهم رجل مسنٌّ يرتدي ثوبًا قصيراً مُرقعًا، وظهر وراءه بعض الأطفال الضعفاء وقد بدا عليهم أثر الجوع الشديد...

قال قائد العُمال المكلف بجمع ضريبة الزرع للرجل المسن:

- أنا مكلف بأمر الملك لآخذ منك ضريبة زرعك المستوفاة عليك منذ أيام، لقد صبرنا عليك طويلاً وإن لم تدفع الآن فلسوف أجرُّك معي إلى السجن.

– أي ضريبة يا بني، إنني لا أقوى على العمل.. إن ولدي في الحقل لم يعد حتى الآن فعودا بعد قليل واطلبوا منه ما شئتم...

– لا شأن لي بهذا يا رجل، أنا أريد الضريبة الآن وإلا فسأُنزل بك وبأطفالك البؤساء أشد العقاب!!

– يا بني، أي ضريبة تعني؟ إن حقلي ملكي ورثته عن أجدادي، وقد أخذ الملك نصفه رغمًا عني، وباقي المحصول يكفي ذريتي بالكاد، إننا نتضور جوعًا... ما بال ذلك الملك يزداد تجبرًا..؟!

ألا يخاف الله.. صدق من سماه جباراً... وويل له من ربه.

– ماذا يا رجل؟ أترمي مولانا الملك بالتجبر... ثم من هذا الرب الذي تدعيه، إن مولانا الملك هو المستحق للعبادة دون سواه.. أوَليس يرزقك ويكفيك تعدي الأعداء عليك.

– كلا.. ليس لي ربٌّ سوى الذي خلقني...

لم يتمكن الرجل المسن من تكملة كلامه، فقد ضربه القائد بقسوة أوقعته أرضًا لضعفه، ثم دخل هو وجنوده إلى الدار فضربوا الأطفال، وأخذوا كبيرهم ليخدم في قصر الملك، وأخذوا كل ما في الدار من متاع... ثم انصرفوا وهم يضحكون فرحين؛ لأنهم أخافوا الأطفال وانتصروا على الرجل الضعيف.

كان هذا حالهم كل يوم.. كل يوم يُبكون أطفالاً، ويخيفون الناس، ولا يهمهم سوى أن يرضوا الملك الجبار.. فلو رجعوا إليه دون غنائم سيذيقهم عقابًا أليمًا.. فلعنة الله على الظالمين!!

obeikandl.com

نور من الأفق

كان هناك صباغٌ ماهر يسكن في أطراف المدينة، كان له ولد وحيد وزوجة مطيعة، كان يدعى «الشامر» كان يحب أسرته الصغيرة، ويعمل جاهداً لإسعادها، لكنه لم يكن كبقية الآباء يريد أن يشب ولده صباغًا مثله، بل كان يسعى لينال ولده شرفًا رفيعًا في المملكة، فكّر الشامر طويلاً فوجد أن كل من في المدينة يصيبهم ظلم الملك إلا الذين يعملون في قصر الملك أو مع أتباعه، وكان هو نفسه دائمًا يشارك في صباغة ملابس الملك بألوان زاهية جميلة، وكان الملك يُعجَبُ بإتقانه عمله ويأمر عماله بألاّ يقربوا منزله، ولا يصيبوا أسرته بأذى كما يفعلون مع باقي الناس، قرر الشامر أن يجعل ولده مثله.. من أتباع الملك.. ولمح في ولده «عبدالله» منذ صغره خفة يد وذكاء، وقدرة على ممارسة بعض الألعاب السحرية التي يتعلمها من الساحر الذي يعرض ألعابه المثيرة في الطرقات.. قرر الشامر أن يجعل ولده ساحرًا.. ساحراً ماهراً.. ثم يتقدم للعمل مع ساحر الملك العظيم، إن الملك لا يستطيع أن يحكم بدون هذا الساحر، لقد حدث يومًا أن عصى الناة لقصر الملك أوامر الملك ورفضوا تكملة البناء وقالوا:

– إن الملك لا يعطينا أجوراً.. نحن وأبناؤنا جياع.. نحن لا نمتلك ثمن الخبز، سنموت ونحن نعمل تحت حر الشمس!!

كان العمال يتساقطون إعياءً، فيضربهم الجنود بالسياط ليكملوا العمل الشاق.. ليعيش الملك في قصور فاخرة على الأنهار الجارية، ويتمتع بكل متع الحياة، وهم لا يجدون لقمة الخبز هم وأبناؤهم...

تمرد العمال وتركوا العمل...

استدعى الملك الظالم ساحره العظيم.. أخبره بتمرد العمال وبرفضهم العمل، قال الساحر الماكر:

– لا تغضب يا مولاي، سوف أتدبر الأمر.

– أسرع يا ساحرنا العظيم، فأنا مليكهم، ويجب عليهم أن يعطوني حقي من التقديس؛ وإلا فسأقتلهم جميعًا.

– أمرك يا مولاي.. سوف أفعل حالاً ما يهدئ غضبك.

كان الساحر يحمل في جيبه سائلاً غريبًا في قارورة صغيرة، أخرجه في خفاء وخفة، ونظر حوله في حذر، ثم قذف بالسائل على حبال مدلاة من خشبة فوق رؤوس العمال...

وفجأة.. تحول ذلك الشيء المدلّى .. الشيء الذي يُنسب للجمادات إلى شيء حي ينساب بنعومة.. تحولت الحبال إلى حيات تزحف باتجاه العمال المساكين، لم تكن حقيقة.. كان سحرًا.. سحر أعين العمال وجميع

الموجودين، أوهمهم أن الحبال أصبحت حيات.. فالسحر من مكائد الشيطان ليسيطر به على ابن آدم.. ليوهمه ويقلب الحقائق أمام عينيه، ليصور له الماء خمرًا والطير حجرًا، وليجعل له الحق باطلاً والباطل حقًا..

وهكذا خاف العمال، ورجعوا للسجود والخضوع للملك الظالم ذي نُواس، الجاحد بالله الكافر بنعمه، الغارق هو وسحرته وأتباعه في الظلم والفجور، ولكن لكل ظالم نهاية... وبعد صبر المظلومين يأتي الفرج.

كان «الشامر» يريد لولده عبدالله أن يكون قويًا كالساحر العظيم، كان يتمنى لو صار مثله يسيطر على كل شيء بقلب الحقائق أمام أعين الناس.

كان الشامر يفكر بطريقة خاطئة، ولكنه كان يراها مناسبة لظروف قومه وليواجه بها ظلم الملك وجبروته وتياره القهري الجارف، وقرر أن ينفذ ما أراد وتمناه.

كبر عبدالله، تعلم السحر على يد ساحر صغير، لكنه كان بارعًا، فتعلم منه عبدالله أصول السحر كما ينبغي لمتعلميه، وحدث يومًا ما قرّب عبدالله من أحلام والده.. نظّم الساحر الكبير مسابقة كبرى، من يفوز فيها من السحرة ينتظم معه ليتعلم منه سحره العظيم..

فاز عبدالله في تلك المسابقة على أقرانه فوزًا ساحقًا، فرح به أبوه فرحًا

عظيمًا وأرسله إلى الساحر العظيم.. ساحر الملك، كان الله يريد بعبدالله أمرًا آخر فيه الخير له.

وكان أبوه يريد أن يزج[1] به في أدران[2] السحر والأباطيل.. كان الله يريد لعبدالله الهدى.. يريد له أن يكون مهتديًا هاديًا.. وكان الناس محتاجين إلى من ينير لهم طريقهم، ويريهم حقيقة الدنيا والآخرة.

كانوا محتاجين إلى من يبصرهم بأهمية الإيمان، ويرشدهم إلى سبيل الأنبياء.. يذكرهم بداود وسليمان واليسع وموسى وعيسى عليهم السلام، يذكرهم بأن الله لم يخلقهم عبثًا..بعث الشامر ولده عبدالله إلى الساحر العظيم؛ ليصير ساحرًا مثله. ولكن عبدالله سار في طريق جديد، إنه طريق النور والهداية.

---

(١) يزج به: يدفعه ويدخله.

(٢) أدران: أوساخ.

فيميون في عزلته

كان فيميون يعيش في كهف بعيد عن نجران، كهف يقع على الطريق المؤدية إلى مقر الساحر العظيم الذي سيتعلم عبدالله السحر على يديه.. ترك فيميون المدينة منذ ذلك الوقت الذي كان الملك ذو نُواس يبحث عنه فيه، مكث في كهفه زمنًا طويلاً، سنوات عديدة قاربت العشر، كان يقضي نهاره وليله في عبادة وتفكر في ملكوت الله تعالى، فالتفكر يزيد المرءَ إيمانًا بالله وبقدرته تعالى ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [**آل عمران**: ١٩٠، ١٩١].

وكان صالح يأتيه بالطعام والشراب ليلاً والناس نيام لم يتركه صالح أبدًا هذه السنوات العشر، كان يتلقى منه العلم والشريعة الرّبانية التي يقرؤها فيميون عليه من الإنجليل المقدس.

تعلم صالح الكثير من فيميون، وكان هناك نفر قليلون في المدينة يتعلمون بدورهم من صالح، كانوا يلتقون في منزله ليلاً حتى لا يرهم الناس.. وسترهم الله فلم يعرف عنهم الملك شيئًا.

وذات يوم مات صالح.. مات الرجل الذي يعرف مكان فيميون مات الرجل الذي كان يُعلم الناس الخير..

حزن عليه رفاقه حزنًا كبيرًا، لكن الموت قضاء الله، ولا يمكن مواجهته إلا بالصبر والتسليم والرضا.. انشغل هؤلاء الناس بحياتهم، وغفلوا مرة أخرى عن الله، انشغلوا بما هم فيه من مشقة وفقر.

ظل فيميون على حاله لم يشغله شيء عن عبادة الله عز وجل وكان يسأل الله أن يهيئ للناس رجلا يهديهم إلى الخير.

ابتعد فيميون عن الدنيا بما فيها من زينة وتفاخر ومُتع وظلم وغفلة، وانقطعت عنه أخبار المدينة بما فيها ومن فيها..

وصار عبدالله يذهب إلى الساحر بعد أن فاز في مسابقة السحر على قرانه، سلك عبدالله الطريق المؤدي إلى مقر الساحر العظيم..

كان سعيداً بفوزه في المسابقة، سعيداً بأنه سيتعلم على يدي ساحر الملك العظيم، كان يريد أن يخلفه ويصبح من المقربين للملك، تلك كانت أحلام عبدالله بن الثامر..

كان يعيش مع والديه حياة هانئة، ولا يشعر بما يعانيه الناس؛ لأنّ والده كان من أتباع الملك الظالم.

سار إلى الساحر وهو يفكر في سعادة غامرة فيما ينتظره من مستقبل عظيم في عالم السحر.. إنه يعرف قدر نفسه، وقدر مهارته في الألعاب والخدع السحرية، ولذلك اختاره الساحر العظيم دون غيره ليتعلم على يديه، وليصبح مساعداً له..

وبينما عبدالله في طريقه إلى الساحر لمح كهفًا أمامه أشجار ضخمة، وبدا الكهف وكأنه مختبئ داخل تلك الأشجار..

قدر الله أن يلتقي فيميون مع شخص آخر ليعلمه علمه الغزير عن الله ورسله... وهكذا دخل عبدالله الكهف في حذر..!!

obeikandl.com

البحث عن الله

كان الملك ذو نُواس يعبد ذاته، وكان الناس في مدينته لا يدينون بدين، لقد آمنوا بالله عندما دعاهم إلى ذلك تُبع قبل مئات السنين، وذلك عندما أدخلهم في اليهودية الصحيحة التي دعاه إليها العالمان اللذان كانا يعيشان في يثرب.

وانحرفت اليهودية عن الطريق الصحيح بأيدي الأحبار[1] الذين حرّفوا التوراة، ولهذا ضل الناس مرّة أخرى عن الطريق المستقيم، وصاروا يعبدون الأوثان، ويزعمون أنها تقربهم إلى الله، وأنها تشفع لهم عنده، ووجد ذو نُواس في ضلال الناس فرصة ليتسلط عليهم، ويتمكن من استغلال جهلهم لتحقيق أغراضه، فقرب منه العلماء الذين حرّفوا التوراة وادعى أنهم على حق، ودعا الناس إلى طاعة هؤلاء العلماء طاعة عمياء.. خاف الناس منه واتبعوا ما أراد، وكان فيميون قد ظهر بدين النصرانية.. دين عيسى عليه السلام.. وأخذ يدعو الناس إليه، ويخبرهم أنّ ذا نُواس على دين باطل هو وأتباعه، وأن اليهودية الحقة هي التي تدعو إلى توحيد الله وعبادته وحده دون شريك، فلما علِم ذو نُواس بأمره طلبه فهرب.. عاد الناس إلى دين ذي

(*) الأحبار: علماء اليهود.

نُواس ونسوا حديث فيميون عن الله؛ خوفًا من بطش مليكهم وقسوته في معاقبة كل من يخالف أوامره..

وبهذا كانت اليهودية الباطلة المحرفة هي ديانة نجران وعاش الناس في ضلال عظيم وظلم جسيم.

وأراد الحق سبحانه وتعالى أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور، أراد اللهُ أن يخلصهم من ظلم الملك وضلاله، فوجه عبدالله إلى العابد فيميون..

دخل عبدالله إلى الكهف.. لم يسمع صوتًا.. أخذ يتوغل في الكهف بحذر وخوف.. وفجأة رأى في فجوة من الكهف نورًا يتوهج.. سار عبدالله إلى مصدر النور فلما اقترب سمع صوت رجل يُرتل بخشوع.. أحس الرجل بحركة خلفه، فالتفت سريعًا فوجد غلامًا في مقتبل العمر، ينظر إليه في دهشة وسكون...

نظرا إلى بعضهما بُرهة.. ثم تحدث فيميون:

– من أنت أيها الغلام؟ وكيف وصلت إلى هذا المكان البعيد المنعزل؟

– أنا غلام الساحر الذي في مدينة نجران.. كنت في طريقي إليه لأتعلم على يديه دروس السحر وفنونه.. اسمي عبدالله بن الثامر.

– و من يحكم مدينتكم يا بُني؟ أما زال ذو نُواس هو الملك؟

– بلى يا عماه.. ولكن لماذا تمكث في هذا المكان المنعزل بعيداً عن مدينتنا نجران؟

– أنا يا بني، رجل أطوف بالأرض لأدعو الناس إلى عبادة الله، مكثت بالشام مدة من الزمان، ثم أتيت إلى نجران مع أخي في الله صالح، ثم علم عليككم بأمر دعوتي إلى دين عيسى عليه السلام فبعث جنوده ليقضوا عليّ، ففررت إلى هنا حفاظًا على حياتي.. وقد كان أخي صالح يأتيني بالزاد والأخبار، ثم انقطع عني منذ شهور ولا أعرف لماذا؟ لم يكن أحد يعرف مكاني سواه..

– هل صالح هذا طويل القامة؛ غزير شعر الرأس، يعمل حداداً؟

– بلى يا بني، هل تعرفه؟

– لقد مات أيها الشيخ الطيب.

– إنا لله وإنا إليه راجعون... ثم دمعت عين الشيخ فيميون وأخذ يبكي.. فقال له عبدالله:

– لا تحزن يا عماه، كلنا سنموت ونعود إلى التراب.

– أعلم يا بُني؛ ولكنه كان أخي في الله.. إن أخوة الدين أقوى من أخوة الدم والنسب يا ولدي.. وأعظم عند الله.

– ما معنى قولك «الله» التي تكررها يا عماه؟

– الله يا بني هو الذي أعبده ليلاً ونهاراً، الله هو خالق هذا الكون، الله خالق كل شيء.. انظر إلى السماء ونجومها وقمرها وشمسها، انظر إلى الليل والنهار.. انظر إلى تعاقبهما دون أي توقف في حركتهما.. انظر إلى نفسك يا ولدي.. إلى جسمك إلى عينيك.. إلى عقلك الذي تفكر به .. كل ما فيك وفيما حولك يشهد على وجود إله واحد خالق كل هذا ومدبر أموره.. الله هو الذي خلقك من العدم، ثم أحياك، ثم يميتك، ثم يحييك ليحاسبك، فمن عمل خيراً جوزي بالخير، ومن عمل شراً جوزي بالشر..

– وهل سأحيا بعد الموت يا عماه؟

– بلى يا بني، لا بد من يوم يحاسب فيه العباد على أعمالهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، إن الله هو العدل يا بني، فكيف يترك الظالم يظلم في الدنيا دون أن يجازيه على ظلمه في الآخرة؟

– كلامك يفتح أمامي أملاً في الحياة، بدلاً من اليأس الذي يُخيم على

نفسي يا عماه.. إنني لا أدري لماذا أحيا.. أرسلني والدي لأتعلم السحر.. لكنك أرشدتني إلى عالم جديد غير عالم السحر.. عُذراً يا سيدي، أنا مضطر إلى الذهاب إلى الساحر الآن.. إلى لقاء قريب...

– صحبتك السلامة يا ولدي..

ذهب عبدالله إلى الساحر.. كان يسير وهو يفكر في كلام الشيخ.. كان كلامه مؤثراً ومقنعًا.. أحيا نفس عبدالله.. وصل إلى الساحر.. وجد عنده حيوانات قد رُبطت، وكتب كثيرة تعلم أصول السحر، أفهمه الساحر أن السحر هو الوسيلة الوحيدة لقهر الناس والسيطرة عليهم، أفهمه أن الملك لا يستطيع أن يحكم دون أن يعتمد على السحر..

تعلم عبدالله أول دروس السحر ثم عاد إلى نجران... أخذ يتنبه إلى ما عليه الناس من ظلم وهوان، تمنى لو استطاع تخليصهم مما هم فيه من مشقة..

الناس جياع، بينما الملك وأعوانه وسحرته غارقون في أفخر أنواع الطعام والشراب..

الناس يعيشون في بيوت مظلمة، لا يجدون الزيت الذي يشعلون به المصابيح..

إن هذا الملك يستحق القتل.. كيف يحكم الناس ويظلمهم، إنه لا يستحق أن يكون راعيًا عليهم، فالراعي لقوم لا بد أن يرعى حقوقهم ولا يضيعها، لا بد أن يُنصف المظلوم ويقتص له من الظالم.. لكن هذا الملك هو نفسه مصدر الظلم..

أخذ عبدالله يذهب كل يوم إلى الساحر مارًّا بالشيخ فيميون...

لكنه كان يتأخر عند فيميون، فإذا ذهب إلى الساحر ضربه فقال له الشيخ:

- إذا تأخرت على الساحر يا بني فقل له: حبسني أهلي، وإذا تأخرت على أهلك لوجودك عندي فقل لهم: حبسني الساحر.

استمر عبدالله على هذه الحال فترة من الزمان.. كان كلما مر عليه يوم ازداد إيمانًا واقتناعًا بكلام فيميون، وكفرًا بكلام الساحر وألاعيبه، إنه لم يعد مثل الناس يظن أن الساحر قادر على فعل أي شيء؛ لأن الناس ينخدعون بألاعيب الساحر، أما هو فقد تعلم منه أسرار تلك الألاعيب وخفيا الخدع.. كان الساحر - مثلاً - يأتي بوعاء فارغ، ويريه للناس ليتأكدوا من كونه فارغًا، ثم يضع فيه عددًا من النقود المعدنية، ثم يعرض الوعاء مرة أخرى على الناس، فلا يرون النقود فيه فيتعجبون؛ أين اختفت النقود؟!

يقول مساعد الساحر: إن النقود قد طارت إلى فم الساحر العظيم، ثم يخرجها الساحر من فمه أمامهم.. عندئذٍ كان الناس يخافون من مقدرة الساحر، وينفذون كل الأوامر التي يريدها الملك خوفًا من بطش ساحره.

لكنّ عبدالله أصبح يعلم أن النقود لم تطر إلى فم الساحر، ولكن الحقيقة أن الوعاء الذي ألقى فيه النقود ليس وعاء عاديًا، ولكنه مجهز بقاع آخر داخلي من البلاستيك ملتصق عند حرفه بالقاع الأصلي، وبه ثقب يسمح بدخول العملات المعدنية بين القاعين فعندما يقذف بالنقود فإنه يضعها فوق الثقب، وعند إمساكها بالوعاء بعد ذلك يديره حتى تدخل النقود جميعها في الثقب، ثم يقلبه أمام الناس فلا يقع منه شيء، أما النقود التي أخرجها من فمه فإنه يكون قد وضعها قبل دخوله إلى المتفرجين، وهي من نفس نوع وعدد العملات التي ألقاها في الوعاء...!!

وهكذا كفر عبدالله بكل ما يدعيه الساحر من قدرات؛ لكنه أخفى ذلك حتى تحين الفرصة المناسبة لإعلان الحق!!

إعلان الحق

هيأ الله لعبدالله فرصة عظيمة لإعلان إيمانه بالله ونشر دعوة الحق.. كان عبدالله قد آمن في نفسه بأن الله هو فقط القادر على كل شيء .. آمن بالرسل الذين أخبره عنهم الشيخ العابد فيميون، آمن برسالاتهم .. أصبح يتمنى لو آمن جميع الناس بما آمن به؛ لأن الإيمان أنار له طريق حياته وفرق به بين الحق والباطل... فالإيمان الحقيقي يحرر النفوس من قيود الهون والعبودية لغير الله تعالى...

إذا آمن الناس بالله وتركوا عبادة غيره نصرهم الله على عدوهم.. هذه هي سنة الله في الأرض.. ولن تجد لسنة الله تبديلاً.. بينما عبدالله يسير في طريقه إلى منزله عائداً من عند الشيخ العابد فيميون مرّ على طريق ضيق على جبل، فوجد الناس مجتمعين... الناس واقفون لا يسيرون .. كثر كلامهم وعلت أصواتهم، تعجب عبدالله وسأل رجلاً يقف بجواره:

– ما الأمر؟ لماذا يقف الناس هكذا لا يتحركون؟!

– ألست مساعد الساحر أيها الغلام؟

– بلى إنه أنا، ولكن أخبرني لماذا يقف الناس هنا؟

– هناك دابة في وسط الطريق، ونحن خائفون منها، ولا نستطيع أن نحركها من مكانها لنعبر.

ثم نادى الرجل في الحضور وقال:

– أيها الناس ها هو مساعد الساحر سيساعدكم على العبور، . . . أفسح الحاضرون الطريق لعبدالله . . حدّث عبدالله نفسه قائلاً: اليوم سأعرف أيهما على حق . . الشيخ أم الساحر!! رفع يديه إلى السماء وقال في صوت خافت:

– اللهم، إن كان أمر الشيخ العابد أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس في سلام . .

ثم أخذ حجراً من الأرض ورمى به الدابّة، فوقعت من أعلى الجبل فماتت.

اندهش الناس . . كيف يستطيع الفتى أن يقتل الدابة الكبيرة بحجر صغير؟! قال أحدهم:

– هل قتلتها بالسحر أيها الغلام؟

– كلا يا أخي . . لقد قتلها الله خالقها وخالق كل شيء . . .

– قلت من: الله؟ ماذا تعني بكلمة «الله»؟!

– الله هو الذي خلق السماء والأرض والجمادات والناس، خلقنا جميعًا وخلق أجدادنا . . وأمرنا بعبادته . . وترك عبادة ما سواه . . . ويجب ألاّ نعبد إلا إياه ولا نسجد إلا له.

– أتعني أننا ينبغي ألاّ نسجد للملك ذي نُواس؟!

– بالطبع.. إنّ هذا الملك بشر مثلكم يحيا ويموت ويمرض ويأكل ويشرب.. بشر ضعيف.. وليس له الحق في العبادة ولا في التسلط على عباد الله.. الله خلقه كما خلقكم، ولو شاء لأماته الساعة، ثم سيبعثه ويحاسبه على ظلمه...

ثم ترك عبدالله الناس وهم في حيرة من أمرهم، وذهب إلى العابد فيميون..

أخبره بكل ما حدث.. فنظر إليه الشيخ في حنان أبوي وقال:

ستلاقي المتاعب يا بُني.. إن الملك وأعوانه لن يرضيهم جهرك بالحق الذي يعرفونه وينكرونه...

– وماذا بإمكانهم أن يفعلوا أيها الشيخ الطيب؟

– سوف يلقون القبض عليك ويقتلونك يا بني!!

– لا يهمني ما سوف يفعلون.. إن للحق نوراً يعلو فوق ظلمهم، ولسوف أرشد الناس إلى الله مهما حدث لي في سبيل ذلك.

أبلغَ أحد قواد الملكِ الملكَ بما حدث من الغلام عبدالله مساعد ساحره

العظيم.. بعث الملك إلى ساحره، وأخبره عما يقوله الغلام وهو في غضب شديد.. أخذ يقوم ويجلس في غضب وهو يقول:

– أنا الملك لا رب سواي.. أنا الذي أحيي وأميت، أنا الذي أرزق، كيف يجرؤ مساعدك الخبيث على أن يذكر كلمة الله أمامي، لقد نسي الناس دين تُبَّع وإلهه الذي كان يُدعى: الله.. ثم يعود هذه الغلام ليذكرهم.. ويلٌ له.. ماذا علمته أيها الساحر؟!

– ابعث جنودك يا مولاي ليحضروه.. وسوف يكون ما يرضيك.

العزة بالإثم

انطلق جنود الملك وقواده في كل مكان بحثًا عن عبدالله، ذهبوا لمنزله.. وطرقوا باب المنزل بعنف، فتح والده الثامر الباب في دهشة وفزع قائلاً:

– ماذا دهاكم أيها الجنود... لماذا تطرقون عليّ بهذه الطريقة؟

– أين ولدك يا رجل؟ إن الملك المعظم يطلبه.

– ماذا.. ولدي ... ولدي عند ساحر الملك المعظم يتعلم فنون السحر، ماذا فعل ولدي؟ هل اقترف ما يغضب الملك منه؟

– أنت لا تدري شيئًا عن ولدك أيها الأب الأحمق.. ولدك يحرض الناس على عبادة الله، وعصيان مليكنا المعظم.

– ماذا.. ماذا.. لا شك أنكم مخطئون، إن ولدي لا يمكن أن يفعل سيئًا كهذا الذي تقولون!!

ترك الجنود المنزل بعد أن فتشوه، وذهبوا يبحثون عن الغلام في مكن آخر، وتركوا والده في حالة يرثى لها من الدهشة والحزن.. كان يريد لولده مجد الدنيا لكنّ الله أراد له خَيْري الدنيا والآخرة..

كان الغلام يجلس إلى الناس ويحدثهم عن الله، كل من يسمع عنه يأتيه فيقول له ما ينير له الطريق ويبصره بحقيقة العبادة، كان يدعو لمن به

ضُرٌّ فيستجيب الله له فيشفيه من مرضه، جاءه وزير من وزراء المَلِك كان قد عمي منذ زمن..

دعاه عبدالله إلى الإيمان بالله، فلما استجاب دعا له عبدالله، فشفاه الله وأرجع إليه بصره..

ذهب الوزير الذي آمن إلى الملك، ودعاه إلى الله لكن الملك وحاشيته استكبروا وتمادوا في الكفر والعناد..

أمر الملك بقتل الوزير المؤمن.. وأراد الله أن يهدي الناس فأرشد الجنود لمكان عبدالله..

وقف عبدالله في إباء المؤمن وعزته بين يدي الملك.. قال له الملك في استكبار:

– ما بالك، أيها الغلام تحرض الناس على الكفر بي وترك الخضوع لي؟

– أيها الملك ما أنت إلا عبد لله استرعاك على رعيته، وعليك أن تعبد الله وحده لا شريك له، وتترك ما أنت عليه من كفر وضلال.. كفاك ظلمًا للناس، وتحكمًا في معايشهم، وسرقة لأموالهم وخيرات بلادهم.. إن الله سيسألك عن كل ما تفعله، وسيحاسبك حسابًا عسيرًا.

– كف عن نصائحك أيها الغلام واستمع إليّ: إن لم ترجع عن كفرك بي، وتركع لي الآن وتخبر الناس بأنه لا معبود سواي لأقتلنك شر قتلة!!

– ليس هذا من حقك أيها الكافر المعاند..

– أيها الجنود، خذوا هذا المعاند المجادل، وألقوا به من أعلى الجبل إذا لم يرجع عن دينه.

أخذه الجنود إلى جبل عظيم، وارتقوا به قمته ثم قال له القائد:

– ارجع عن سفهك أيها الغلام، وإلا رميتك من فوق هذا الجبل.. ما بالك ألا تحب أن تحيا؟

– إنني أحب الحياة؛ ولكني أحبها كريمة لا خضوع فيها ولا ذل إلا لله الواحد الأحد.. أحب الحياة التي أعبد فيها الله؛ لأسعد في الحياة الباقية ولست أبيع الحياة الباقية بالحياة الفانية!!

ثم نظر الغلام إلى السماء وقال: «اللهم، اكفنيهم بما شئت وكيف شئت»..

أرسل الله عاصفة هوجاء قوية، وزلزل الجبل من تحت أقدامهم، فوقعوا جميعًا من أعلى الجبل ونجا الغلام...

رجع الغلام إلى الملك .. دُهش الملك دهشة عظيمة، وقال:

– ألم تمت أيها الغلام.. لا شك أنك قتلت جنودي بسحرك.

– كلا أيها الملك.. ولكن الله كفانيهم بحَوْله وقوته.

وبينما هما في محادثتهما دخل أحد الجنود ومعه الشيخ العابد فيميون، اقترب منه عبدالله وقال له:

– ما الذي دلهم عليك أيها الشيخ الطيب؟

– لقد عرفوا مكاني من دعوتك يا بني.. عرفوا أنك تعلمت إيمانك بربك من رحلتك اليومية إلى الساحر..

– اصبر واحتسب يا عماه فإن الله ناصر رسله وجنده..

– بلى يا ولدي.. إن الله مع الصابرين.

نادى الملك أحد الجنود قائلاً:

– خذ هذا الشيخ وسلّمه إلى السياف.. لقد وجدناك يا فيميون، مهما هربت منا فمصيرك الموت على أيدينا..

– إنها الشهادة في سبيل الله أيها الملك الضال... لا تغتر بقوتك؛ فإن الموت لن يتركك، وستقف بين يدي الله لتذوق أشد العذاب على كفرك وظلمك.

– خذه أيها الجندي من أمامي.. إنني لا أطيق سماع صوته... أيها الجنود، خذوا هذا الغلام الذي يتجرأ علينا، واركبوا به سفينة في عرض البحر ثم اربطوه بحجر ثقيل وألقوه في البحر.

– أمر مولانا الملك...

– لن تقدر عليّ أيها الملك إلا بأمر الله تعالى...

أخذ الجنود الغلام المؤمن إلى عرض البحر وربطوا إلى قدميه حجراً ثقيلاً بحبل غليظ.. فلما شارفوا على إلقاء الحجر في الماء ليغوص إلى الأعمق ويسحب معه الغلام قال لهم عبدالله:

– أيها الجنود، إنني مشفق عليكم من عذاب الله.. استجيبوا لي وآمنوا بربكم.. لن ينفعكم الملك يوم الدين...

– اصمت أيها الغلام، فسوف تموت بعد قليل دون أن ينفعك إيمانك بربك!!

– اللهم، اكفينهم بما شئت وكيف شئت.

ما أنهى الغلام دعاءه حتى امتلأت السماء بالغيوم السوداء، وارتفعت أمواج البحر، وثارت عاصفة قوية قلبت السفينة رأساً على عقب وغرق كل

ركابها، ثم عاد الغلام عائمًا بفضل الله إلى الشاطئ.. رآه الناس كبروا، وحملوه على أعناقهم إلى قصر الملك.. جُن الملك لمّا رآه .. وقال:

– أنت لست ساحرًا، أنت عفريت من الجن.. أين جنودي؟

– لقد كفانيهم الله بقدرته.. تُب إلى الله يا ذا نُواس، وأسلم ولا تتمسك بضلالك...

– اصمت أيها الغلام، سوف أقتلك لا محالة..

– إن أردت قتلي فاجمع الناس في صعيد واحد واصلبني على جذع، ثم خذ سهمًا من كنانتي، وضع السهم في كبد القوس ثم قل: بسم الله رب الغلام، ثم ارم؛ فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني.

جمع الملك الناس، ونفذ ما قاله الغلام ثم رمى سهمه وقال: بسم الله رب الغلام، فوقع السهم في صدغ[1] الغلام فمات...

---

(١) الصدغ: ما بين العين إلى شحمة الأذن.

نهاية الظالم

قُتل الغلام المؤمن.. كبّر الناس الكثيرون الذين آمنوا وشاهدوا مقتل قائدهم إلى الله، ذُهل الملك مما فعله الناس، لقد ثاروا ثورة عظيمة، لم يفهم السر وراء الطريقة التي طلب منه الغلام أن يموت بها إلا بعد موته .. لقد أراد الغلام أن يُعلم الناس أن الملك ليس قادراً على فعل شيء إلا بذكر الله، وأنه بكفره بالله عاجز وضعيف، لقد انتصر الإيمان أمام الناس على الكفر، انتصر الحق على الباطل، مات الغلام لكنّ الله حي لا يموت...

أحاط الملك جميع منافذ المدينة بالجنود والأسوار.. ثم حفر جنوده أخدوداً[1] ضخماً في الأرض بأمره، وأشعل فيه النيران التي ارتفعت ألسنتها تشق الرياح، واسودّت سماء المدينة من دخانها الكثيف.

أمر الملك أن يدخل الناس كلهم في دينه اليهودي المحرف، ومن يأبَ يق في النار حيًا..

أبى الجميع إطاعة أمر الملك الضال...

صار الجنود يرمون كبيرهم وصغيرهم في النار...

جاءت امرأة ومعها ثلاثة أطفال.. رمى الكبير والأوسط نفسيهما

(١) أخدود: حفرة عميقة في الأرض وواسعة.

وصبرت الأم، كان الصغير رضيعًا على يديها.. أشفقت الأم على طفلها الرضيع.. نظرت إلى طفلها وبكت خوفًا عليه.. هنا حدثت المعجزة.. أنطق الله الطفل.. قال لأمه بلسان فصيح مبين:

- يا أماه، اصبري فإنك على الحق!!

ألقت الأم بنفسها في النار.. مات عشرون ألفاً من مدينة نجران..

مات عبدالله شهيداً، وكانت شهادته سببًا في هداية الناس... رحمك الله يا عبدالله.

obeikandl.com

obeikandl.com

عبر ودروس في قصة أصحاب الأخدود

الثبات على الحق برهان صادق على قوة العقيدة، وصدق الإيمان، فأصحاب الحق دائمًا يتعرضون لمصاعب شتى، وابتلاءات كثيرة، منها ما هو في النفس، ومنها ما هو في المال، أو الولد، أو غير ذلك، فإذا ثبتوا أمام شدة الرياح الهوجاء فإنهم يلقون ربهم وهو عنهم راضٍ، وقد عالجت هذه القصة قضية الثبات على الحق والتمسك به على الرغم مما يصيب صاحبه؛ وذلك لتقوى فينا هذه الصفة الحميدة لنسعد في الدنيا والآخرة على أن هناك دروسًا وعبرًا أخرى نوجزها فيما يلي:-

١- الهداية من الله، هذا مبدأ يجب علينا أن نؤمن به، فطلب الهداية من الله من صفات أصحاب الفكر السليم والعقل السديد، وهؤلاء إذا رزقهم الله هداه، ومنَّ عليهم بالرشد والتوفيق فعليهم أن يسلكوا طريق الحق ويسيروا على نهج الله القويم، وهذا ما يجب أن نتعلمه ونعيه جيداً.

٢- الرحم صلة قوية لها حرمتها، وقد توعد الله قاطع الرحم بأشد عقاب وهو مقاطعة الله له وعدم قبوله، ومن هنا فقاطع الرحم نهايته سيئة في الدنيا والآخرة، ولنا في هذه القصة العبرة والعظة في ذلك.

٣- إذا فسدت طبيعة الناس، وكثرت معاصيهم، وزاد عنادهم ولَّى الله

عليهم من يسومهم سوء العذاب، فالحاكم الظالم عقاب من الله لأمة شقت عصا الطاعة وخرجت عن هدي الله، وجاهرت بالمعاصي، فعلينا أن نطيع الله فيما أمر أو نهى، ونخشى الله في كل ما نفعل أو نترك، فمتى سادت المحبة في الأمة وشاع فيها الخير ولّى الله عليها من يحكمها بالعدل، ويسوسها بالعطف والرحمة.

٤- اهتمام الآباء بأبنائهم والسعي إلى ما فيه خيرهم، فالآباء يحرصون على تعليم الأبناء ما يفيدهم في دنياهم وأخراهم، وهذا ما وجدناه في هذه القصة عندما حرص الأب على تعليم ابنه السحر عند أكبر السحرة؛ وذلك لأنه رأى فيه - حسب زعمه - الخير له والمستقبل الباهر ولكن الأب أراد شيئًا لابنه وأراد الله له شيئًا آخر وكان ما أراد الله.

٥- على الإنسان أن يبحث عن الحق قدر استطاعته ولا يهمل في ذلك، وإذا هداه الله إلى الحق وجب عليه أن يتمسك به ولا يفرط فيه أبدًا، وهذا ملمح نجده في هذه القصة.

٦- جميع الديانات الصحيحة سواء أكانت يهودية أم نصرانية تدعو إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، أما إذا حرفت هذه الديانات وبدل فيها فإنها بذلك تخلو من جوهرها الحقيقي، ولا تصلح أن تكون هادية للناس.

٧- هناك بعض المواطن يجب علينا أن نجهر فيها بالحق، ونعلن أننا من أصحابه ولا نخشى في الله لومة لائم، فعندما تحين الفرصة يجب علينا أن نغتنمها بالإعلان عن الحق والدعوة إليه، وإذا لم نفعل ذلك نكون من العاصين وسوف يحاسبنا ربنا على ذلك.

٨- عندما يعتز الظالم بظلمة ويفتخر بإثمه فإن الله يسلط عليه من العقاب ما يناسبه وما يتفق مع جرمه، وهذا ما رأيناه في هذه القصة عندما اعتز الحاكم الظالم بإثمه وفعل ما يمليه عليه غروره فإن الله يأخذه أخذ عزيز مقتدر، وينزل به من العقاب ما يردعه هو وأمثاله. ويقع ما كان يخاف منه.

فعلينا أن نتعظ بهذه الدروس حتى نسعد في الدنيا والآخرة.

هذا والله الموفق.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٧
ابتداء النصرانية بنجران	٩
عهد من الطغيان	١٥
دولة الشيطان	١٩
نور من الأفق	٢٢
فيميون في عزلته	٢٦
البحث عن الله	٢٩
إعلان الحق	٣٦
العزة بالإثم	٤٠
نهاية الظالم	٤٦
عبر ودروس	٤٩
المحتويات	٥٣

openkandil.com